ISSN NO: 2770-8608
June 2024

Recantation of Imam Al-Ebyari on Al-Durra Al-Modeyya in the three ways of Holy Qur'an recitation explainers (Presenting And Criticism)

Dr. Rashid Bin Hussein Al-Homsi
rashid.alhomsi@yahoo.com
The Ministry of Education

Abstract : This research discusses the points that Imam Mohammed Al-Ebyari corrected scientists misbelieves who explained Al-Durra Al-Modeyya for Imam lbn Al-Jazari , then the comments that relates to validity using scientists marbles as a reference which the researcher depended on .
Keywords: Recantation, ImamAl-Ebyari,Al-Durra Al-Modeyya

الْمُـقَـدِّمَـــــةُ

إن الحمد الله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا . أما بعد :

فإن الاعتناء بكتب أهل العلم ومصنفاتهم مطلب شريف ، وما زال دأب علماء الأمة قائم على العناية بكتب من قبلهم شرحًا وتعقيبًا واستدراكًا واختصارًا ، وغير ذلك من وجوه العناية التي معها خدمة الكتاب .

ومن الكتب التي لاقت قَبولًا في علوم القراءات منظومة الإمام محمد بن الجزري الموسومة بـ : (الدُّرَّة الْمُضِيَّة في القراءات الثلاث الْمَرْضِيَّة) ، فقد اعتنى بها العلماء وتتابعوا على شرحها ، ومن جملة شروحها البديعة شرح العلامة الإبياري الموسوم بِـ : (البَهجة السّنِيَّة شرح الدرة الْمُضِيَّة) ، فقد جاء شرحه بديعًا، استدرك فيه على المنظومة وعلى شروحها .

واستدراك الإبياري على الشراح يُعدُّ مسلكًا جديدا ، خلت منه شروحات الدرة في الغالب ، وهذه الاستدراكات أردفها الإبياري بما يراه مناسبًا من أسلوب وصياغة جديدين . ومما سوغ له هذا العمل، وأذن له بذلك قول الإمام الشاطبي - رحمه الله - في لاميَّته :

وإن كان خرق فادركه بفضلة *** من الحلم وليصلحه من جاد مِقولا

وهذه الاستدراكات - التي نقلها الإبياري – بعضها لا يخفى حُسنها ، ولا يمكن إغفالها ؛ لجلاء أمرها ووضوحه ، وبعضُها أقل من ذلك ظهورًا ، وأخف شأنًا ، وفي هذا البحث المختصر الوقوف على هذه الاستدراكات التي أوردها على الإمام الإبياري على شُرَّاح الدرة المضية ، ودراستها دراسة تتضمن بيان وجهها ومناسبتها ، وصحة اعتراضها ، ومقارنتها بعبارات غيره .

ولستُ - هنا - بصدد التعقيب والاستدراك على إمام من الأئمة ، فأنى لمثلي إدراك فضله ومنزلته، والإحاطة بغايةِ مقصده ، إلا أن هذا البحث جاء عبارة عن دراسة تطبيقية مع الاعتراف بفضل هذا الإمام ، وتبقى هذه الاستدراكات من العلّامة الإبياري محل نظر تحتمل التأمل والمدارسة ، وبالله التوفيق.

- أهمية الموضوع :

تظهر أهمية هذا الموضوع من جوانب متعددة كما يلي :

١ - مكانة الإمام الإبياري ، وعلو شأنه في هذا الباب ؛ مما يستدعي الاهتمام بعلمه وعمله ، والعناية بأثره .

٢ - عناية أهل العلم بمتن الدرة واعتمادهم عليه ، وحاجتهم بعد ذلك إلى فهم دلالات الدرة ، وفي هذا العمل إعانة لهم على ما أرادوا .

٣ – عدم شهرة هذه الاستدراكات ، حتى إنها من أبرز ما يُميِّز كتابه ، فدعت الحاجة للوقوف على هذه الاستدراكات ، وعرضِها ، ونقدها ، من وجهة نظر الباحث .

٤ - قلة المعتنين بهذه الاستدراكات من قبل الباحثين ؛ ومن هنا تظهر أهمية الموضوع في تقريبها ، وعرضها لآخذها بيسر وتيسير .

- أسباب اختيار الموضوع :

ما تقدم ذكره من أهمية الموضوع ؛ أحد أسباب اختياره ، ويضاف إلى ذلك ما يلي :

١ - الرغبة في الاطلاع على هذه الاستدراكات ، ومعرفة ما أضافته على الشروحات السابقة .

٢ - الرغبة كذلك في مزيد عناية بكتاب البهجة السنية ، ففي دراسة هذه الاستدراكات وعرضها ومناقشتها مزيد رسوخ وثبات لطالب علم القراءات .

٣ - محاولة الوقوف على شيء من جهود العلماء السابقين ، ومناهجهم في النقد .

- منهج البحث :

يعتمد منهج البحث على الاستقراء التام لـ (كتاب البهجة السَّنِية بشرح الدرة البهية) للعلّامة محمد الإبياري - رحمه الله تعالى - ، واستخراج استدراكاته على من سبقه من شُرَّاح الدرة ، كالنويري ، والزبيدي ، والرُّميلي ، والعرائي ، ومن ثم عرض هذه الاستدراكات وبيان صحة الاستدراك من عدمه .

- خطة البحث :

قسمت هذا البحث إلى : مقدمة ، وتمهيد ، ومقصد ، وخاتمة ، وفهارس :

ISSN NO: 2770-8608
June 2024

أما المقدمة فضمنتها : أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، وخطة البحث ، ومنهج البحث .
وأما التمهيد ففيه الكلام باختصار عن : معنى الاستدراك لغةً واصطلاحًا .
وأما المقصد ففيه ستة استدراكات .

- التمهيد :

حفل كتاب الإبياري على الدرة باستدراكات جليلة لها محل من النظر والبحث ، فما المراد بالاستدراك لغة واصطلاحًا :

أولًا : الاستدراك لغة :

مادة (درك) في أصلها تعود لمعنى اللَّحاق بالشيء [1] ، والدرك اللحاق ، والإدراك اللحوق ، يقال : مشيت حتى أدركته ، وعشت حتى أدركت زمانه ، واستدرك الشيء بالشيء حاول إدراكه به .

قال ابن فارس : " (درك) الدال والراء والكاف : أصلٌ واحد ، وهو لُحوق الشيء بالشيء ووُصوله إليه " [2] ، وجاء في مشارق الأنوار في معنى الدرك : " اسْم من الْإِدْرَاك ، كاللَّحَقَ من اللَّحَاقِ " [3] .

ثانيًا : الاستدراك اصطلاحًا :

والاستدراك بالمعنى الاصطلاحي قائم على المعنى اللغوي المتقدِّم ؛ لإن المستدرك يجد في عبارة المستدرَك عليه ما يحتاج إلى تتبع وتعقيب ؛ كشرح مشكِل ، أو اختصار مطوَّل ، أو إكمال نقص ، أو جمْع مفترَق ، وهذه كلها مقاصد التأليف كما بيَّنه جمال الدين القاسمي في قواعد التحديث [4] ، قال :

" وقد قالوا : ينبغي أن لا يخلو تصنيف من أحد المعاني الثمانية التي تُصنِّف لها العلماء ، وهي : اختراع معدوم ، أو جمْع مفْتَرِق ، أو تكميل ناقص ، أو تفصيل مجْمَل ، أو تهذيب مُطَوَّل ، أو ترتيب مخلَّط ، أو تعيين مبهم ، أو تبيين خطأ ، كذا عدَّها أبو حيان يمكن الزيادة فيها " .

وعليه فإن معنى الاستدراك في الاصطلاح : " تعقيب الكلام برفع ما يوهم ثبوته ، وهو معنى قولهم : رفعُ توّهُّمٍ نشأ من كلام سابق ، وبمثل جاء في الكليات : " هو دفع توهم يتولد من الكلام المتقدِّم ، دَفْعًا شبيها بالاستثناء [5] [6] .

* * * * * * * * * * * * * * *

- المقصد : وتحت ستة مواضع :

الموضع الأول :
الموضع الثاني :
الموضع الثالث :
الموضع الرابع :
الموضع الخامس :
الموضع السادس :

[1] يُنظر : مختار الصحاح : (104) ، مادة (درك) .
[2] يُنظر : معجم مقاييس اللغة : (219/2) ، مادة (درك) .
[3] يُنظر : مشارق الأنوار على صحاح الآثار : (256/1) .
[4] يُنظر : قواعد التحديث : (38) .
[5] يُنظر : التعريفات : (21) .
[6] يُنظر : الكليات : (115) .

ISSN NO: 2770-8608
June 2024

الموضع [1] : قال ابن الجزري :

23 - ..... ، وَسَهِّلْنَ *** بِمَدٍّ أَتَى ، .....

قال الإبياري: " ثم أمر بتسهيل ثاني الهمزتين بالمد – أي : إدخال ألف بينهما – للمشار إليه بالهمزة – وهو أبو جعفر - ، وما حكاه خروجٌ منهما عن طريقي القصيدة والتحبير [9] – الذي هو أصلها - ؛ إذ لم يذكر فيهما الإبدال العرائي [7] والزبيدي [8] من الإبدال له في ڈ ے ڈ له في اللفظ المذكور " [10] .

، وهي : تحقيق الهمزة الثانية ، قبل مناقشة قول الإبياري لا بُدَّ من بيان القراءات في الهمزة الثانية من قوله تعالى : ڈ ے ڈ وإبدالها ياءً ، وتسهيلها .

قلت : وما ذهب إليه الإبياري صحيح ، وهو المأخوذ لهما ؛ فقد نص ابن الجزري في التحبير [11] على التسهيل فقط دون غيره .

وأما الإبدال الذي أشار إليه الزبيدي العرائي صَحَّ عن أبي جعفر من طُرق النشر ، وليس من طريق القصيدة وأصلها التحبير ، قال ابن الجزري : " وذهب آخرون منهم إلى أنها تُجعل ياءً خالصة ، نص على ذلك أبو عبد الله بن شُرَيح في كافيه [12] ، وأبو العز القلانِسي في الموضع [2] : قال ابن الجزري :. إرشاده [13] ، وسائر الواسطيين ، وبه قرأتُ من طريقهم " [14]

36 - وَلاَ نَقْلَ إِلَّا الآنَ مَعْ يُوْنُسٍ بَدَا *** .....

الإخباري ، كما لفظ به حيث ڈ ج ڈ قال الإبْياري : " أخبر أنه لا نقْل في شيء من الكلمات التي تُنقل فيها الحركة إلى الساكن قبلها إلا المستفهَم به موضعَيْ يونس [51،91] ، للمشار إليه بالباء - وهو ابن وردان - . ڈ ئو ڈ وقع ، مع ثم ذكر استدراكَ النويري على ابن الجزري ، فقال : قال النويري : " وعبارتُه في التحبير في موضعَيْ يونس يُخالف ما في القصيدة ؛ إذ أورده تتمة [15] لأبي جعفر بكماله " [16] .

ثم قال الإبياري : " وتبعه في ذلك النص الرُّمَيلي ، وليس كذلك ، بل لم يذكُر الناظم في الكتاب المذكور سوى ما ذكره في القصيدة ، ولعل النسخة التي اطَّلعا عليه محرَّفة " [17] .

وجه الاستدراك : أن النويري وكذا الرُّمَيلي استدركا على ابن الجزري بأن نص التحبير يُخالف نص الدرة ؛ والمخالفة في أن ابن الجزري أورد في التحبير النقل لأبي جعفر من راويَيه في قوله تعالى : ڈ ئو ڈ من موضعَيْ يونس ، وردَّ عليهم الإبياري بأن ما ذهبا إليه غير صحيح .

قلتُ : قبل الحكم لا بُدَّ من سَوْق عبارة التحبير لنقارن بينه وبين عبارة الدرة ، قال في التحبير : " نافع وابن وردان ڈ ئو ئو ئو ئو بفتح اللام من غير همز، والباقون بإسكان اللام وهمزة بعدها " [18] . [[يونس: ٩ [يونس: ٥١] ، و ڈ چ چ چ ڈ ئي ڈ إذن لا فرق بين عبارتَي التحبير والنظم ، فإن ابن الجزري أثبت النقل لابن وردان فقط ، دون ابن جمَّاز من التحبير والدرة ، وعليه فإن ما ذهب إليه الإبياري هو الصواب ، وعليه العمل .

وقد رجح المرصفي ما ذهب إليه الإبياري ، قال بعد أن كر كلام الرُّمَيلي : " قلتُ : ليس كذلك ، بل لم يذكر الناظم في التحبير سوى ما ذكره هنا في هذه القصيدة ، ولعل نسخة التحبير التي بيد العلّامة الرُّمَيلي بها تحريف من النُّسَّاخ ؛ ... " [19] .

---

[7] قال العرائي : " وقد ورد عنه فيها وجهان : أحدهما : التسهيل مع الإدخال من تفرُّده ، وهو المفهوم من كلام الشيخ هنا ، والثاني : البدل بلا إدخال ، صرح به في النشر وغيره " . يُنظر : العرة البهية في شرح الدرة البهية : (31) .

[8] قال الزبيدي : " وقرأ أبو جعفر في الباب كله بالتسهيل والإدخال ، وورد عنه في (أئمة) وجهان ؛ أحدهما : التسهيل مع الإدخال ، وهو المفهوم من كلام الشيخ - هنا - ، والثاني : الإبدال بلا إدخال ، صرَّح به في النشر وغيره " .

يُنظر : الإيضاح : (125) .

[9] يُنظر : التحبير : (388/1) .

[10] يُنظر : البَهجة السَّنِيَّة : (166) .

[11] يُنظر : التحبير : (388/1) .

[12] يُنظر : الكافي القراءات السبع : (387) .

[13] يُنظر : إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر : (249) .

[14] يُنظر : النشر في القراءات العشر : (1193) .

[15] في شرح النويري : (تَمَّةَ) بمعنى : هناك . وهي أصحُّ وأوضح .

[16] يُنظر : شرح الدرة المضية : (266/1) .

[17] يُنظر : البَهجة السَّنِيَّة : (184) .

[18] يُنظر : تحبير التيسير : (400) .

[19] يُنظر : شرح الدرة المضية للمرصفي : (113-114) .

ISSN NO: 2770-8608
June 2024

الموضع [3] : قال ابن الجزري :

46 - ..... *** ..... ، وَلِمْ حَلَا
47 - وَسَائِرُهَا كَالْبَزّ مَعْ هُوْ وَهِيْ وَعَنْـ *** ـــهُ نَحْـــوُ عَلَيْهُنَّهْ إِلَيَّـــهْ رَوَى الْمَـلَا

الاستفهامية وأخواتها مع هاء الضمير ، ونون النسوة ، وياء المتكلم ، أَخْذًا ڈ ں ڈ قال الإبْياري : " وحكى العرائي [20] الخلف ليعقوب في الاستفهامية وأخواتها فقط ، وليس في من قول الناظم : (وسائرها كالبزّ) مع قوله : (روى الملا) ، والصواب : أن الخُلف في ڈ ں ڈ هاء الضمير ، ونون النسوة ، وياء المتكلم ، سوى هاء السكت .

نعم ورد الخلاف في نون النسوة وياء المتكلم ، لكن من الطيبة والنشر الذي هو أصلُها . وجزم الناظم في التحبير [21] - الذي هو أصل هذا النظم - بهاء السكت في جميع المذكورات ، وعلى ما فيه جرى العلامة النويري والإمام الزَّبِيدي .

وقال العلامة الرُّمَيلي : (وسائرها كالبز) ، أي : كالخلاف الثابت للبزي ، وقد جرى في هذا التفسير على ما في الحرز ؛ لأن الشاطبي رحمه الله وإن كان ذكر فيه الخُلف للبزي وفاقًا للداني في غير التيسير ، لكنه صحيح مأخوذ به " [22] .

الاستفهامية وأخواتها [23] فقط " فيه مجانبة ڈ ں ڈ قلتُ : كلام الإبياري ليس صحيحًا على إطلاقه ؛ لأن قوله : " والصواب : أن الخُلف في ڈ ں ڈ وأخواتها للصواب ؛ إذ لم يرد خلاف عن يعقوب في

ومنشأ الوهمِ التشبيهُ في قول الناظم : (وسائرها كالبز) ، فحسبوا أن التشبيه يقتضي موافقةَ يعقوب للبزي في أمرين ، الأول منهما : الوقف بهاء السكت ، والآخر : الخلاف ، أي : أن له وجهين ، وهذا الأخير غير صحيح ، قال المرصفي : " فوقَفَ يعقوب على هذه الكلمات الخمس بإلحاق هاء السكت من غير خلاف " [24] .

الموضع [4] : قال ابن الجزري :

52 - ..... لِيْ دِيْنِ سَكِّنْ وَإِخْوَتِيْ *** وَرَبِّي افْتَحَ اَصْلًا .....

قال الإبْياري : " قال النويري [25] : وقوله : (وإخوتي) يتم عليه النصف ويُوقف عليه ، فيتصل بقوله : (سَكِّنْ) ، فلا يبعُد أن يُتَوَهَّم أنه من جملة ما اتصل به ، والواو في (وَرَبِّي) فَيْصَلٌ ، فتختل الترجمة ، فلو قال : (وَفَتْحُ إِخْوَتِي رَبِّيَ اصْلٌ) - بنقل حركة همزة (أَصْلٌ) إلى ياء (رَبِّي) على حد (اتَّبِعِيَ امْره) - لكان أصرحَ في اشتراك الوسط مع الثالث في الفتح .

وتبعه في ذلك الرُّميلي [26] ، وليس بشيء ؛ لأن (وَإِخْوَتِي) - وإن كان يتم عليه النصف ويُوقف عليه - لا يتصل بقوله (سَكِّنْ) كما زعما ؛ إذ الواو فيه للاستئناف ، (وَرَبِّي) معطوف عليه ، فبمقتضى هذا لا يُتوهم في كلام الناظم . تأمل مُنْصِفًا " [27] .

أقول : الإشكال في البيت حاصل ، وغير خافٍ ؛ وذلك للعلة المذكورة ، وهي انفصال الحُكم بين صدر البيت وعجزه ، ولو كان الحكم في شطْر واحد لزال الإشكال .

ويُمكنني الانتصار لصنيع النويري بأنه تعديل للبيت ورفعه للإشكال داخل في قول الإمام الشاطبي [28] :

وَإِنْ كَانَ خَـــرْقٌ فَادَّرِكْـــهُ بِفَضْـــلَةٍ *** مِنَ الْعِلْمِ وَلْيُصْلِحْهُ مَنْ جَادَ مِقْوَلَا

---

[20] قال : " وقوله : (كالبزّ) مع قوله : (روى الملا) يُفهِم أن له وجهين ، وهو كذلك " . يُنظر : الغرة البهية : (44) .

[21] قال ابن الجزري : " وتفرد البزي ويعقوب بزيادة هاء السكت عند الوقف على ما إذا كانت استفهاما ووليها حرف جر " . يُنظر : تحبير التيسير (266) .

[22] يُنظر : البَهجة السَّنِيَّة : (204- 205) .

[23] وهن : ڈ ں ڈ ، وڈ ي ڈ ، وڈ ڈ ڈ ، و ڈ ا ڈ ، و ڈ ڈ ڈ .

[24] يُنظر : شرح الدرة المضية للمرصفي : (143) .

[25] يُنظر : شرح الدرة المضية : (319/1) .

[26] يُنظر : المنح الإلهية بشرح الدرة المُضِيَّة : (392/1) .

[27] يُنظر : البَهجة السَّنِيَّة : (211- 212) .

[28] يُنظر : حِرز الأماني ووجه التهاني ، البيت : (78) .

ISSN NO: 2770-8608
June 2024

الموضع [5] : قال ابن الجزري :

117 - ..... وَيَلْحَدُو اضْـ *** ـمُمِ اكْسِرْ كَحَا فِدْ ، .....

قال الإبْيَاري : " وأخذ النويري بظاهر البيت ، وقال : (يريد هنا وفي النحل وفُصِّلت) وكان عليه أن ينظر في عبارات الكتب المذكورة " [29] .

قلتُ : قبل الشروع بالتعليق لا بُدَّ من بيان المواضع الثلاثة ، فقد وردت في السورة الآتية :

الآية الأولى : □ٱ□ □ □ □ □ □ □ □ □ بر □ □ بن بى بي تر □ □ تر [الأعراف: 180] .

الآية الثانية : □ ٱ لخ لم لى لي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ نم نى □ □ تر [النحل: 103] .

الآية الثالثة : □ٱ □ □ □ □ □ تر [فصلت: 40] .

هنا [30] وفي النحل وفصلت ، أطلقه ڈ چ ڈ عوْد على بدء ، أقول : إن عبارة النويري التي انتقدها الإبياري هي : " يريد معتمدًا على الشهرة ، فاندرج فيه المواضع الثلاثة " [31] . والحق أن النويري جانب الصواب في هذه المسألة ، من جانبين :

الأول : أن ابن الجزري نص في الأصل أن خلفًا يقرأ على موضع النحل كأصله ، أي : بفتح الياء والحاء من (لَحَدَ) الثلاثي . هنا [32] بفتح الياء والحاء والباقون بضم الياء وكسر الحاء " [33] . قال ابن الجزري : " حمزة والكسائي وخلف : ڈ چ ڈ

الآخر : أن تعليل النويري في مراده وفهمه للبيت معتمد على اعتماد الشهرة ، وهي في هذا الموضع منتفية ، وعلة الانتفاء أن الناظم شبَّه موضع الأعراف بموضع فصلت ، وذلك بقوله : " كَحَا [34] " ، والتشبيه في هذه الموضع إنما هو تشبيه باستواء حُكمهما ، فخرج بذلك موضع النحل .

الموضع [6] : قال ابن الجزري :

145 - ..... *** وَنَخْسِفْ نُعْيْدَ الْيَـــا وَنُرْسِـــلَ حُـــمِّلَا
146- فَيُغْرِقَ يَـــمٌّ ، أَنِّتِ اتْلُ طَمَّا .. *** .....

ڈ چ ،[[الإسراء: 68 ڈ ڤ ڤ ڈ ،[ڈ ٹ ٹ ڈ [الإسراء: 68 قال الإبْيَاري : " أخبر أن المشار إليه بالحاء - وهو يعقوب - قرأ [الإسراء: ٦٩] بالياء في الأربعة ، فقوله : (ونرسل) مطلَق يعُمُّ الموضعين معًا كما يُفهم من الشهرة ، وقال ، ڈ چ ڈ [[الإسراء: ٦٩ چ ڈ العلامة العرائي [35] : (ولو قال : ويرسلْ معا حَلَا ، لكان أولى) ، ولا أولوية ؛ لأن الشهرة كافية في ذلك كما علِمتَ " [36] .

قلتُ : الذي يظهر أن استدراك العرائي على الناظم فيه وجه من الصحة ؛ لأن فيه دفعًا للإيهام ؛ وإذا كان النظم يسمح بالإيفاء فهو أولى [الإسراء: ٦٩] قرأها رَوح بالياء عطفًا على ما سبق ، من الإطلاق ، هذا من وجه ، ومن وجه آخر فإن الكلمة الخامسة وهي الأخيرة : ڈ ي ڈ وقرأها رويس بالتاء على التأنيث ، فلما كانت المخالفة حاصلة في المواضع الخمسة كان البسط والإيضاح أولى بالمقام من الإجمال والإطلاق .

---

[29] يُنظر : البَهجة السَّنِيَّة : (289) .

[30] أي : موضع الأعراف .

[31] يُنظر : شرح الدرة المضية : (137/2) .

[32] أي : موضع النحل .

[33] يُنظر : تحبير التيسير : (433) .

[34] قول الناظم : (كَحَا) إشارة إلى مطلع سورة فصلت ، وهو قوله تعالى : □ ٱ لخ تر.

[35] يُنظر : الغرة البهية في شرح الدرة البهية : (133) .

[36] يُنظر : البَهجة السَّنِيَّة : (320) .

ISSN NO: 2770-8608
June 2024

المـصــادر

1. ابن الجزري : محمد بن محمد بن محمد ، النشر في القراءات العشر ، دار الغوثاني ، ط1 ، 1439ه - 2018م .
2. ابن الجزري : محمد بن محمد بن محمد ، تحبير التيسير في القراءات العشر ، دار الفرقان – الزرقاء ، ط1 ، 1421 ه – 2000 م .
3. ابن شريح : أبو عبد الله محمد بن شُريح ، الكافي في القراءات السبع ، رسالة دكتوراة ، جامعة أم القرى ، 1998م - 1419هـ .
4. ابن فارس : أحمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، دار الفكر ، بلا طبعة وبلا تاريخ ، 1399ه - 1979م .
5. الإبياري : محمد بن محمد بن هلال ، البَهجة السَّنِيَّة بشرح الدرة البهية ، جامعة أم القرى ، ط1 ، 1432هـ - 2011م .
6. الجرجاني : علي بن عبد العزيز ، التعريفات ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط1 ، 1405م .
الرازي : محمد بن أبي بكر ، مختار الصحاح ، المكتبة العصرية - الدار النموذجية ، بيروت – صيدا ، بلا تاريخ ، 1420ه - 1999م .
7. الرُّميلي : علي بن محسن ، المنح الإلهية بشرح الدرة المُضِيَّة ، دار ابن الجوزي .
الزبيدي : عثمان بن عمر الناشري ، الإيضاح على متن الدرة ، دار ابن القيم ودار ابن عفان ، ط2 ، 2007م ، مصر والسعودية .
8. السبتي : عياض بن موسى ، مشارق الأنوار على صحاح الآثار ، بلا طبعة وبلا تاريخ ، المكتبة العتيقة ودار التراث .
9. الشاطبي : القاسم بن فيره ، حِرز الأماني ووجه التهاني ، دار نور المكتبات – جدة ، ط1 ، 1429هـ ، 2008م .
10. العرائي : أحمد بن عبد الجواد ، الغرة البهية في شرح الدرة المضية ، دار الصحابة ، ط1 ، 1429هـ - 2008م .
11. القاسمي : محمد جمال الدين بن محمد سعيد الحلاق ، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ، بلا طبعة وبلا تاريخ ، دار الكتب العلمية – بيروت .
12. الكفوي : أيوب بن موسى ، كليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط1 ، بلا تاريخ .
13. المرصفي : عبد الفتاح السيد عجمي ، شرح الدرة المضية في القراءات الثلاث المرضية ، برنامج الكراسي البحثية بجامعة طيبة ، ط1 ، 1438هـ - 2017م .
14. النويري : محمد بن محمد بن القاسم شرح الدرة المضية في القراءات الثلاث المروية ، مكتبة الرشد ، ط1 ، 1424هـ - 2003م ، السعودية .
15. الواسطي : محمد بن الحسين بن بندار ، إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر، رسالة دكتوراة ، جامعة أم القرى ، 1404 ه - 1984م .